# مجلة كلية الدعوة الإسلامية

مجلة إسلامية ثقافية تصدر سنوياً

العدد الثانى

1985

- من قضايا الفكر والعقيدة
- مذاهب بلا إسلام
- معارف إسلامية
- مخطوطات ليبية
- دور الفكر الواقعى فى النهضة الإسلامية

# الآثار الإسلامية

• دكتور / على مسعود البلوشى •

ان البحث فى موضوع الآثار الاسلامية يجعل الباحث يتعرض لتحديد ما هية ومفهوم موضوع علم الآثار بصفة عامة باعتباره علما له فروعه وله قواعده واسلوب البحث فيه وله ارتباط بعلم التاريخ من جانب وعلم تاريخ الفن من جانب اخر .

وفى هذه العجالة نقتصر على اعطاء تعريف مختصر لعلم الآثار بدون التعرض الى علاقة علم التاريخ وتاريخ الفن فى هذا المجال . وهناك نقطة اخرى مهمة لابد من ذكرها فى هذا المجال وهى ان البحث فى موضوع الآثار يجعل الباحث المدقق يصل الى حقيقة علمية وهى ان كل حضارة من الحضارات الانسانية ترتكز على دعامتين اساسيتين وهما الجانب الفكرى والجانب المادى . ولكى نفهم هذين الجانبين فهما علميا لابد لنا من الاستعانة بعلمين اساسيين وهما:-

أ) علم الآثار anchaeology الذى يمكن اعطاء تعريف مبسط له بأنه العلم الذى يتناول بالدراسة والتحليل العلمى المنظم الاشياء والاشكال المادية الملموسة والمحسوسة . «١»

ب) وعلم اللغات philology«٢» الذى يهتم بالنصوص والاشياء المكتوبة والمدونة ، ولكل من هذين العلمين فروع وعلوم اخرى مساعدة لها فى الوصول الى الحقائق العلمية المجردة .

لقد اختلف المهتمون بعلم الآثار فى تحديدهم لمفهوم وتعريف هذا العلم وذهبوا مذاهب شتى واغلبهم يرى انه ليس من السهل اعطاء تعريف محدد ودقيق للمصطلح المستخدم حاليا فى اللغات الاوروبية ومنها الانجليزية وهو «anchaeology الذى هو مشتق من كلمتين اغريقيتين وهما archaios «٣» بمعنى قديم ، logos «٤» بمعنى نص او كتابة ، ويصلون فى تحليلهم الى ان علم الاثار هو الدراسة المنظمة للآثار ، وهو العلم الذى يبدأ بدراسة الانسان عندما ظهر على سطح الارض فى فترة جيولوجية ، ويعنى ايضا بتلك البقايا المادية للحضارات القديمة التى تم الكشف عنها وبخاصة فيما له علاقة بعلم

الكتابات القديمة والاكتشافات المادية المتعلقة بها «٥» ومهما كانت اختلافاتهم فى تحديد مفهوم هذا المصطلح فان كلمة اركيولوجى بعثت من جديد بعد كسوف طويل فى القرن السابع عشر الميلادى على يد العالم جاك سيون من مدينة ليون الفرنسية ، وقد دخلت هذه الكلمة فى كل اللغات الاوربية الحديثة وفرضت نفسها كمصطلح جديد .«٦»

وعلم الآثار بالمعنى الحديث لهذا المفرد بدأ يتطور بجدية اثناء القرن الثامن عشر ، وهناك عدة عوامل اسهمت فى فترة تشكيل بدايات هذا العلم من بينها ما قام به العلماء فى فترة عصر النهضة الذين اعادوا اكتشاف الكتابات والنصب والمبانى التذكارية للفترة الكلاسيكية واصبح جمع الاعمال الفنية من الاشياء التى لاقت عناية كبيرة منهم ونتج عنها ان تكونت نواة المتاحف الاوربية الكبيرة . «٧»

اما بخصوص ظهور وتطور علم الاثار الاسلامية فيمكن اعتبار حملة نابليون بونابرت على مصر سنة ١٧٩٨ هى البداية الفعلية لتوجه انظار علماء الاثار الاوروبيين نحو دراسة ووصف وجمع المادة العلمية عن الاثار الاسلامية فى كل مناطق العالم الاسلامى بصفة عامة والوطن العربى بصفة خاصة ومصر بصفة اخص .

ومنذ تلك الفترة توالت جهود البعثات الاثرية للحفر والتنقيب ودراسة الاثار الاسلامية من قبل المستشرقين الغربيين وبخاصة الالمان والفرنسيين والبريطانيين والهولنديين والامريكان والاسبانيين والايطاليين الذين اهتموا بمناطق محددة من الوطن العربى ، واصدروا كثيرا من الدوريات التى تهتم بشئون الاثار الاسلامية ، كما نشروا كثيرا من البحوث والكتب والمؤلفات عن الاثار الاسلامية ، وهم فى الحقيقة الذين قامت على اكتافهم الدراسات الاثرية .«٨»

ومما يجب ذكره انه عند فحص وتحليل دراسات هؤلاء المستشرقين يتضح انها مرت بمراحل علمية دراسية مختلفة . فالكتب والابحاث والدوريات والدراسات التى نشرها المهتمون بالدراسات الاثرية الاسلامية من الرعيل الاول من الاوربيين نجدها عبارة عن جمع ووصف وتسجيل وتوثيق للاثار الاسلامية باسلوب علمى ، لكنه لايخلو من السطحية«٩» وفى فترة تالية نجد ابحاثا ودراسات لمجموعات اخرى من علماء الاثار المهتمين بالاثار الاسلامية تصطبغ بطابع الدراسات المقارنة ومحاولة هؤلاء العلماء لفهم الاصول الفنية والمعمارية لكل العناصر الزخرفية والاشكال المعمارية وارجاع هذه العناصر والاشكال المعمارية الى مصادرها او تحديد بدايات استخدامها«١٠» اما كتابات المستشرقين الذين ظهروا ابتداء من بداية القرن العشرين وبخاصة المعاصرين منهم فانهم اهتموا بالدراسات التحليلية وغربلة ماكتب فى الماضى عن الاثار الاسلامية من الكتابات الوصفية وتلك الكتابات ذات الصبغة المقارنة وتفنيد بعض النظريات السابقة الخاطئة التى توصل اليها آنذاك المستشرقون من الرعيل الاول الذين وقعوا فى كثير من الاخطاء العلمية والذين كانت دراساتهم وكتاباتهم عن الفن والعمارة والاثار الاسلامية دراسات وكتابات لاتخلو من السطحية«١١» .

وقد اسهم العلماء العرب والمسلمون المتخصصون فى دراسة الاثار الاسلامية والعربية بجهود مشكورة فى العناية بها وحفظها وترميمها ودراستها والكتابة عنها وغربلة

وتفنيد بعض من نظريات المستشرقين عن نشأة الفن والعمارة والاثار العربية والاسلامية وعلى رأس هؤلاء العلماء العرب الدكتور احمد فكرى الذى يقود حملة واسعة على كتابات المستشرقين عن الفن والعمارة والاثار الاسلامية ، وقد بين اسس هذه النظريات والجوانب الخاطئة فيها ، واعاد النظر فى الاسس التى قامت عليها حتى الان دراسات الاثار العربية والاسلامية ، ولم يكتف الدكتور احمد فكرى بهذا بل قدم بدوره نظريات بديلة لنظريات المستشرقين لتكون اسسا تقام عليها دراسات الفن والعمارة والاثار العربية الاسلامية ومن هذه النظريات : نظرية الاصول والمصادر ، ونظرية الاستنباط ونظرية التطور ونظرية الوحدة العربية «١٢» وهذه النظريات يمكن تطبيقها على كل فروع الاثار الاسلامية التى يمكن حصرها فى العناصر الاتية :-

١- فرع العمارة التى تنقسم الى :

أ- العمارة الدينية من مساجد واضرحة وزوايا ومشاهد وكتاتيب ومدارس ومزارات الخ .

ب - كلعمارة المدنية من قصور وبيوت وحمامات عامة وتكايا وخوانق وفنادق ووكالات وحنفيات عامة الخ .

ج - العمارة الحربية من قلاع وحصون واسوار وابراج ورباطات .

٢- فرع التصوير وفن الكتاب الذى يتناول المخطوطات المزوقة غير المزوقة التى تشمل فنون الخط والرسم والتصوير والتجليد .

٣- فرع الفنون التطبيقية الذى يتناول المصنوعات الخزفية والمعدنية والزجاجية والعاجية والخشبية والسجاد والمنسوجات وغيرها من الصناعات والحرف التقليدية .

٤- فرع المسكوكات الذى يهتم بدراسة نظم سك النقود ودور الضرب وكل انواع العملة المعدنية والصنج وعلم النميات بصفة عامة .

٥- فرع الكتابات الأثرية الذى يهتم بتناول ودراسة شواهد القبور والنصب التذكارية وتطور الكتابات الاثرية وأنواع الخطوط عليها .

ومما كتب فى هذه المقالة القصيرة جدا يتضح ان علم الاثار الاسلامية يتكون من كثير من المعارف والعلوم المختلفة ، ويعترف المستشرقون بان علم الاثار الاسلامية من بين جميع علوم الاثار هو الاكثر غنى ، خاصة فيما يتعلق بالفنون التطبيقية وفن العمارة الذى يمتد على ارض فسيحة وله علاقة بالاثار والفنون الساسانية والبيزنطية والمسيحية والقبطية وكذلك بالفن العربى السابق للفترة الاسلامية ، وعليه فان علم الاثار الاسلامية يشكل احدى اكبر القضايا فى تاريخ القرون الوسطى .(١٣)

## هوامش ومراجع المقال


1 - Warurick brey and david trump , the

Penguin Dictionary of Archacology , Penguin Books , Great Britain , 1970 ), p . 21 - Martin l . Wolf , Dictionary of The Arts , With Introduction by Eric Pastridge , (Philosophical Library , New York , 1951) p . 44.

2- جورج ضو : تاريخ علم الاثار ، ترجمة بهيج شعبان (مكتبة الفكر الجامعى ، منشورات عويدات، بيروت ، لبنان ١٩٧٠م ص ٧ ، ٨ .

3- Martin. l . Wolf Dictionary of the Arts , p . 44

4 - المرجع السابق .

5 - المرجع نفسه - انظر كذلك :

Magnus Magnusson , Introducing Archacology , (Henry Z. Walck , inc ., New York , 1972) , pp . 9 , 10 .

6- جورج ضو : تاريخ علم الآثار ، ص ٦

7 - Magnus Magnusson , Introducing Archacology , p . 16 .

8- احمد فكرى (دكتور) : مساجد القاهرة ومدارسها : المدخل ، دار المعارف بمصر ١٩٦١ ) ص ٥ - ٨ .

9 - المرجع السابق ص ٨

10 - المرجع نفسه ص ٨ - ٩

11 - المرجع نفسه ص ١٠ ، ٢١

12 - المرجع نفسه ص ٢٥ - ٤٨

13 - جورج ضو : تاريخ علم الآثار ، ص ٦٠